مثل السامريّ الشّفوق (لوقا 10: 25-37)

الفهرس

- مدخل
- الحِوار بين المسيح والناموسيّ
- السّؤال المطروح
- مَن هو قريبي؟
- كان إنسانٌ منحدِراً
- وقوع السامريّ بين أيدي اللّصوص
- مُساعدة الرجُل وإنقاذه من الموت
- مَن هو القريب إذًا؟
- الخاتمة

مدخل

- يُعرَف إنجيل لوقا في الكِتاب المقدَّس بأنَّه إنجيلُ الفُقراء، وها نحن اليومَ أمام مثل آخر يتحدَّث فيه المسيحُ عن المحبَّة ومُساعدة الآخر.
- لقد أعطى المسيح هذا المثل بعدما أتاهُ ناموسيٌّ أيّ إنسان لاهوتيّ يهوديّ، مُجَرِّبًا إيّاه وقائلاً: " يا مُعلِّم ماذا أعمل لأرِثَ الحياةَ الأبديّة؟ (آ25)، ومَنْ قريبي (آ29).

الحِوار بين المسيح والنّاموسيّ

- لقد دارَ حِوارٌ بين السيّد المسيح والناموسيّ المُجرِّب له الّذي كان قد سمع عنه وعن تعاليمه، لكن لا يُخفى شيء عن المسيح، فقد حاورهُ بِلُغَتِه لكي يَفهمَ عليه، ولم يُحاوِرْهُ بشيء غريب عنه بهدف إظهار القراءة والتفسير الخاطئ والناقِص عنده.
- الناموسيّ مُتعَمِّقٌ بالشّريعة ويدرُسُها وقد جاءَ يستوضِحُ عن الحياة الأبديّة مِن شخصٍ ليس بلاهوتيّ وهذا أمرٌ غريب جدًّا بِحسب اعتقاد اليهود.

- لم يأتِ جوابُ الناموسيّ من خارِج الناموس بل جاء مِن صُلبِه، فقد استشهدَ بوصيَّتَيْن من العهد القديم ودمجَهُما ببعض، "أحبِب الربَّ إلهَكَ مِن كُلِّ قلبِكَ ومن كُلِّ نفسِكَ، ومِنْ كُلِّ قدرتِكَ ومن كُلِّ ذِهنِكَ وقريبك كنفسِكَ (آ27). ظاهريًّا جوابه صحيحٌ، أمّا مضمونه فحرفيٌّ، والدَّليل على ذلك جواب السيِّد له: "فقال لهُ بِالصَّوابِ أجبت، اعمَل هذا فَتَحْيَا." (آ28).

السؤال المطروح

- عندما التقى الناموسيّ السيِّد المسيح طرحَ عليه السّؤال الّذي كان وما يزال يشغل بالَ كافّةِ الشّعب حتّى يومنا هذا، ألا وهو موضوع الخلاص، "ماذا أعمل لأرِثَ الحياةَ الأبديّة؟" (آ25).
- لكنَّ، الربَّ يسوع المسيح، العارفَ مكنوناتِ القلوبِ، يدركُ تمامًا الحقيقةَ والخلفيّةَ اللّتَيْنِ انطلق منهما الناموسيّ في سؤالِه يسوعَ مجرِّبًا إيّاه. لِذا، جاء جوابُ الربّ على سؤاله بِسؤالٍ آخر، "ماذا مكتوبٌ في النّاموس؟ كيفَ تقرأ؟" (آ26).

مَن هو قريبي؟

- "ومَن قريبي؟" (آ29)، سؤالٌ كبيرٌ طرحه النّاموسيّ، هذا السّؤال كانت تدور حوله نِقاشاتٌ كثيرةٌ وخلافاتٌ كبيرةٌ، لأنَّ كلمة قريب بالنسبة لليهود تعني اليهود والوثنيّين الّذين اعتنقُوا اليهوديّة مع بعض الاستثناءات غير المُتَّفق عليها والّتي تعدّدت الآراءُ حولها.
- جاءَ جوابُ المسيح واضِحًا، ومُتكامِلاً، ومُقنِعًا، لم يكن جوابُه تقليديًا إنّما جاءَ ردُّهُ بِمَثَلٍ حياتيٍّ. فعادَ يسوع وقال له: "إنسانٌ كانَ منحدِراً مِن أورشليم..." (آ30).

كان إنسانٌ منحدِراً

- بدأ السيّد المسيح المثلَ بِكلمة "إنسان" وهذا أمرٌ ليس من باب الصِدفة، فكلمة "إنسان" تَحْمِلُ معانٍ كثيرة، نذكر اثنين منها: أوّلهما محبّة الله للإنسان الّذي جاءَ المسيح مِن أجله وفداه بِدَمِهِ الكريم، ثانيهما ليؤكِّد لنا بأنَّ الإنسان لا يُعْرَفُ مِن خلال هويَّته الدّينيّة، بل بإنسانيَّتِه "ليس يهوديٌّ ولا يونانيٌّ، ليسَ عبدٌ ولا حرٌّ، ليسَ ذكرٌ ولا أُنثى، فأنتُم كُلُّكم واحِدٌ في المسيح يسوع. فإذا كُنتم للمسيح، فأنُتم إذًا نسلُ إبراهيمَ وورثةٌ بِحسَب المَوعِد". (غل3: 28-29).

وقوع السّامريّ بين أيدي اللّصوص

- انطلق السيّد المسيح في هذا المثل بِحدثٍ قد يكون وقعَ فِعلاً وذلك أنَّ المنطقة بين أورَشليم وأريحا مُعرَّضة لِمثلِ هذه الحوادِث.
- لقد تعرَّض الرّجل للضرّبِ المُبرِحِ من اللّصوص من دون شفقة أو رحمة، لِظنِّهم بأنّه يملك المال، ومن الواضِح أنَّه قاومهم ولم يستسلمْ لهم بسهولة.

مُساعدة الرجُل وإنقاذه من الموت

- بعدما تعرَّض الرَّجُل للضرب المُبرح تمَّ رميُهُ أرضًا "بين حيٍّ ومَيْت"، وكان بحاجة لِمَن يُنقِذُ حياتَه، فصُودِفَ مرور ثلاثة أشخاص في ذلك المكان، الأوّل كاهِنٌ، وكانَ عائِدًا إلى منزِله بعد انتهائه من خِدمَته في الهيكل، والثاني لاويّ وهو أيضًا خادمٌ في الهيكل.
- مِن المُفترَض أن يقومَ الاثنان بتقديم العونِ لهذا الرَّجُل أو على الأقلّ واحدٌ منهما كونه مِن جِنسِهُما، لكن لم يكترث أحدٌ منهما لأمره.

- ثمَّ مرَّ بِجانِبِه رَجُلٌ سامريٌّ غريبٌ عنهُ وعن دِيانَتِه، (تجدر الإشارة هنا إلى أنّ خلافًا قديمًا كان قائمًا بين اليهود والسّامريين، كما نقرأ في حوار الربّ يسوع مع المرأة السّامرية الّتي قالت له إنَّ اليهودَ لا يخالطون السامريّين – يو 9:4)، هذا عندما رآه بِهذه الحال تحنَّنَ عليه وضمَّدَ لهُ جراحاتِه وصبَّ عليها زيتًا وخمرًا اللّذين كان الأطبّاء يستخدمونَهُما لتهدئة الوجع وإزالة الالتهاب، ولم يكتفِ بِذلك، بل نقلَهُ على دابَّتِهِ الخاصّة إلى الفُندُق واعتنى بأمرِه وتكفَّلَ بكامل النفقات، "ومهما تنفق فوقَ هذا فأنا أدفعهُ لكَ عِندَ عودتي". (آ35)

مَن هو القريب إذًا؟

- في القسم الأوّل مِنَ المقطع الإنجيليّ، طرحَ النّاموسيّ على السيّد المسيح سؤالاً "مَن قريبي" (آ29)، أمّا هنا وبعد المَثل الّذي أعطاه المسيح لهُ، فقد ردَّ لهُ السؤال، لكِن بطريقةٍ مُختَلِفة " فأيُّ هؤلاءِ الثلاثة تَحسَبُهُ صارَ قريبًا للَّذي وقعَ بينَ اللُّصوص؟ (آ36)

- بمعنى آخر مَن صارَ قريباً لهذا الرَّجُلِ المَسكين؟ مَن عَمِلَ بِحَسبِ الوَصايا؟ الكاهن واللّاويّ أم ذاك الأجنبيّ؟
- نرى هنا الربّ يسوع المسيح كيف جعل هذا النّاموسيَّ يكتشفُ المعنى الحقيقيّ والفعليّ للمحبّة الإلهيّة الّتي يريدُنا الربُّ أن نَقْتَدِيَ ونعملَ بها.

الخاتمة

- أنهى السيِّد المسيح هذا المقطع بطريقةٍ جميلة جدًا، أنهاه بِطلب عَمليّ، ألّا نكتفي بقراءة وَحِفظ الوصايا، بل عيشها "فقالَ له يسوعُ: امضِ فاصنَعْ أنتَ أيضًا هكذا". (آ37)
- أراد الربّ يسوع مِن هذا المَثل أن يقولَ لنا بأنَّ العَمل الصّالحَ لا يَنحَصِر بين الأقارِب والأصدقاء المُحيطين بنا (هذا أمرٌ طبيعي).

- إنّما العملُ الصالِحُ هوَ لكُل شخِص مُحتاجٍ مِن أيّة مِلّةٍ أو لونٍ ودينٍ، "وإذا أحسنتُم إلى الّذين يُحسِنون إليكُم، فأيّةُ مِنَّةٍ لكُم؟ فإنَّ الخطأة هكّذا يَصنَعون. ...، لكِن أحِبّوا أعداءكُم... وتكونوا أبناءَ العليِّ... فكونوا رُحماءَ كما أنَّ أباكُمْ رحيم." (لو6: 33-36).
- خِتامًا، كلُّ مَن أراد أن يكون مع المَسيح عليه أن يحيا الوَصايا وأن لا يكتفِ بحفْظِها، بل يتوجَّب عليه أن يَلبَسَ المسيح لا أن يَراهُ صُوَريًا فقط، فالمسيح حياة فِعليّة وليسَ مجرّد نظريّاتٍ.

المراجع:

- خضر، المتروبوليت جورج ، سلسلة الرّوح والعَروس 6- كلمة حياة، مطرانيّة جبيل والبترون وما يليهما للروم الأرثوذكس (جبل لبنان)، بيروت 2007.
- كرياكوس، المتروبوليت أفرام، عظة أُلقيت في كاتدرائيّة القدّيس جاورجيوس – الميناء، الأحد 15 تشرين الثاني 2009، www.architripoli.org.
- بندلي، كوستي، دِراسات كتابيّة 1 – أمثال الملكوت، منشورات النّور 1983.
- www.alsiraj.org